اجواء ما قبل حرب اذار ١٩٧٨

وهكذا دخل عام ١٩٧٨ ، وقد فشلت المؤامرة في الجنوب عسكريا وسياسيا . وبدأت مرحلة العد العكسي : الأمر الذي جعل العدو الصهيوني يستعد لشن الهجوم المضاد ، لكي يمنع تدهور قوات عملائه في الجنوب ، وليوقف تصاعد العمل العسكري والانتفاضات الشعبية في فلسطين . وليمنع تواصل الانتصارات السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وهذا يفسر الهجوم الواسع الذي شنته قوات سعد حداد على قرية مارون الراس في ٢/٣/١٩٧٨ ، وهي قرية في رأس جبل يسيطر على بنت جبيل ويطل على الأرض الفلسطينية التي تبعد عنه مرمى بندقية . وكانت ، بسبب حساسية موقعها الاستراتيجي ، خالية من القوات المسلحة دائما : لأن الوصول اليها يعني تغيرا في ميزان القوى العسكري في القطاع الاوسط ان لم يكن على مستوى الجنوب كله .

كان من الواضح ان احتلال مارون الراس مجرد خطوة للوثوب على محور بنت جبيل ، ان لم يكن اسقاطه دون قتال . ولهذا جاء القرار من قيادة الثورة الفلسطينية بالرد الفوري ، قبل ان تتموضع القوات او تلتقط انفاسها . وبالفعل حدثت مأثرة في ذلك اليوم نفسه ، حيث شن هجوم مضاد في وضح النهار ، فاجأ القوات الانعزالية التي لم تتوقع التجرؤ على مثل هذا الهجوم فورا ونهارا ضد موقع مثل موقع مارون الراس . وسرعان ما تشتت سرية مؤللة تركت عددا من الياتها ومعداتها وجثث قتلاها وهي تلوذ بالفرار .

وبهذا انقلب الموقف في غير مصلحة العدو الصهيوني ، ناهيك عن جماعة الجيب العميل . وقد زاد الوضع خطورة بالنسبة اليهم ، حين رأوا قوات الثورة الفلسطينية والقوات الوطنية والشعبية اللبنانية تتمركزا في القرية وتباشرا عمليات التحصين والخندقة : الأمر الذي يعني ان المواجهة في تلك المنطقة اصبحت مباشرة مع المستعمرات الصهيونية .

لم يكد العدو الصهيوني يجمع اجزاء صورة الوضع الجديد حتى كانت عملية الشهيد كمال عدوان قد اندلعت في القلب ، بل في اكثر النقاط حساسية . وكانت عملية جريئة اسفرت عن معركة بطولية اسطورية اهتز لها الكيان الصهيوني من اعماقه ، وانشدت لها انظار العالم اعجابا او اندهاشا ببطولة تلك المجموعة من الفدائيين بقيادة الشهيدة دلال المغربي . فكانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير . وقد سبقها تصاعد مستمر للكفاح المسلح ، وتواصل للانتفاضات الشعبية داخل الأرض المحتلة ، وهزائم للمؤامرة الصهيونية ـ الاميركية على مستوى لبنان عموما ، والجنوب خصوصا ، ثم انتصارات سياسية ودبلوماسية لمنظمة التحرير الفلسطينية على مستوى دولي، ثم عزلة خانقة لخط الاستسلام الساداتي الذي تمثل ، في حينه ، بزيارة العار للقدس ، ثم ، فيما بعد ، بتنازلاته الخيانية في كامب ديفيد ومعاهدة واشنطن . ولكن ، في المقابل ، اذا كانت هذه كلها تشكل اسبابا لشن حرب الجنوب ، فان تلك الحرب لم تات في ظروف سياسية عامة مؤاتية للعدو الصهيوني . ولعل الدليل البسيط السريع على ذلك انه لم يستطع ان يحقق مبتغاه في احتلال الجنوب حتى نهر الليطاني ، او يضع يده على مياه الليطاني ، فاضطر الى التراجع والانسحاب من القسم الاعظم من الأراضي التي احتلها في حرب اذار ١٩٧٨ ، وذلك على خلاف معظم التقديرات التي كانت تستبعد حدوث التراجع والانسحاب من الليطاني . ولهذا ، يمكن القول أن القرار الصهيوني بالحرب تم في